Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i4

الحروف المشبهة بالفعل عند الجوهري في صحاحه, دراسة نحوية دلالية

فاطمة خليل جاسم
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية/ذي قار/العراق fatima.k.jassim@utq.edu.iq

أ. د. أسعد خلف عبد جابر
dr.Asaad.Khalaf.Alawadi@utq.edu.iq
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية/ذي قار/العراق

الملخص

إن هذا البحث الموسوم بـ (الحروف المشبّهة بالفعل عند الجوهري في الصحاح – دراسة نحوية دلالية) أحد الموضوعات الدقيقة التي تتقاطع فيها مباحث المعجم والنحو والدلالة، إذ سعى إلى الكشف عن طبيعة معالجة الجوهري لهذه الحروف في معجمه، من خلال الجمع بين التأصيل المعجمي والتحليل النحوي الدلالي، بما يبرز عمق نظر الجوهري واتساع رؤيته اللغوية. لقد أولى الجوهري عنايةً ظاهرة بالحروف المشبّهة بالفعل، ففسّرها وأشار إلى وظائفها في تراكيب العربية، رابطًا بين معانيها واستعمالاتها من جهة، وبين أثرها في البنية الإعرابية من جهة أخرى، بما يُظهر وعيه الصريح بصلتها الوثيقة بالأفعال في العمل والدلالة معًا. وقد ركّزت الدراسة على تحليل الحروف الستة المشبّهة بالفعل، وهي: (إنّ، وأنّ، وكأنّ، ولكنّ، وليت، ولعلّ)، من خلال تتبّع مواضعها في الصحاح وتحليل معانيها ودلالاتها ووظائفها النحوية. وتبيّن أن الجوهري عرضها عرضاً يُبرز شبهها بالفعل من حيث دخولها على الجملة الاسمية وإحداثها أثرًا إعرابيًّا واضحًا يتمثّل في نصب الاسم ورفع الخبر، فضلًا عن ما تؤدّيه من وظائف دلالية متنوّعة، كالتوكيد، والاستدراك، والتشبيه، والترجي، والتمنّي. وقامت الدراسة بإجراء موازنة علمية بين معالجة الجوهري لهذه الحروف وما أورده النحويون من آراء منذ سيبويه حتى ابن هشام الأنصاري، بغية الكشف عن مدى اتّساق الجوهري مع الاتجاه النحوي العام، وتحديد ما تفرّد به من ملاحظاتٍ معجميةٍ ذات أبعادٍ نحويةٍ ودلاليةٍ خاصّة. وقد أظهرت هذه الموازنة أن الجوهري لم يكن ناقلًا فحسب، بل كان ذا رؤيةٍ تحليليةٍ لغويةٍ دقيقة، تُبرز مقدرته على الربط بين المعنى المعجمي والبنية النحوية في ضوء الاستعمال العربي الأصيل.

الكلمات المفتاحية : حروف المعاني عند النحويين القدماء، الجوهري وصحاحه، الحروف المشبهة بالفعل.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i4

Particles Resembling Verbs in Al-Jawhari's Al-Sihah: A Grammatical and Semantic Analysis"

Fatima Khalil Jassim
University of Thi-Qar / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language
Thi-Qar, Iraq
fatima.k.jassim@utq.edu.iq

Prof. Dr. Asaad Khalaf Abd Jaber
University of Thi-Qar / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language
Thi-Qar, Iraq
dr.Asaad.Khalaf.Alawadi@utq.edu.iq

Abstract

This research, entitled (The Verb-Like Letters in Al-Jawhari's Al-Sihah - A Grammatical and Semantic Study), is one of the delicate topics in which the studies of the lexicon, grammar, and semantics intersect. It sought to reveal the nature of Al-Jawhari's treatment of these letters in his lexicon, by combining lexical foundations with grammatical and semantic analysis, in a way that highlights the depth of Al-Jawhari's view and the breadth of his linguistic vision. Al-Jawhari paid significant attention to the verb-like letters, explaining them and pointing out their functions in Arabic structures, linking their meanings and uses on the one hand, and their effect on the grammatical structure on the other, in a way that demonstrates his clear awareness of their close connection to verbs in both function and meaning. The study focused on analyzing the six verb-like letters, namely: (inn, anna, ka'anna, lakin, walayt, and la'alla), by tracing their positions in the Sahih and analyzing their meanings, connotations, and grammatical functions. It was found that Al-Jawhari presented them in a way that highlights their similarity to verbs in terms of their entry into the nominal sentence and their creating a clear grammatical effect represented by the accusative of the noun and the nominative of the predicate. In addition to the diverse semantic functions they perform, such as emphasis, counterpoint, simile, hope, and wishful thinking, the study conducted a scientific comparison between al-Jawhari's treatment of these letters and the opinions presented by grammarians from Sibawayh to Ibn Hisham al-Ansari, with the aim of revealing al-Jawhari's consistency with the general grammatical trend and identifying his unique lexical observations with specific grammatical and semantic dimensions. This comparison demonstrated that Al-Jawhari was not only a translator, but also possessed a precise linguistic analytical vision, highlighting his ability to connect lexical meaning with grammatical structure in light of authentic Arabic usage.

Keywords: Letters of meaning according to ancient grammarians, Al-Jawhari and his Sahih, letters similar to verbs.

المقدمة

تُعَدّ الحروف المشبّهة بالفعل من الموضوعات المركزية في الدرس النحوي العربي، لما تحمله من خصائص مشتركة مع الأفعال في العمل والدلالة، إذ تدخل على المبتدأ والخبر فتنصب الأول وترفع الثاني، محدثة أثرًا إعرابيًا يشبه عمل الفعل. وقد حظيت هذه الحروف باهتمام النحويين منذ سيبويه، لما تنطوي عليه من دقة في الاستعمال وثراء في المعاني، فتراوحت دلالاتها بين التوكيد والاستدراك والتشبيه والترجي والتمنّي.

ومن بين المصادر التي عالجت هذه الحروف، يأتي معجم الصحاح للجوهري، الذي لم يقف عند حدود التفسير المعجمي، بل قدّم إشارات نحوية ودلالية تكشف عن وعيه العميق بالصلة بين البنية اللغوية والمعنى.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على موقف الجوهري من الحروف المشبّهة بالفعل، باستقراء أقواله وتحليل شواهده، ثم مقارنتها بما ورد في كتب النحويين، للكشف عن مدى اتساقه مع الاتجاه النحوي العام أو تفرّده ببعض الخصوصيات.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنّها تسعى إلى الربط بين المعجمية والنحوية من جهة، وبين البنية والدلالة من جهة أخرى، لتُبرز إسهام الجوهري في خدمة الدرس النحوي من خلال معجمه، وتكشف عن بعدٍ علمي قلّما أُبرز في الدراسات السابقة.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تتبّع أقوال الجوهري في الصحاح، ثم موازنتها بما أورده النحويون، بغية الوصول إلى صورة متكاملة عن معالجته لهذه الحروف. وجاء البحث موزعًا على ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: مفهوم حروف المعاني عند النحويين القدماء.

المبحث الثاني: الجوهري ومعجمه الصحاح (مكانته ومنهجه).

المبحث الثالث: الحروف المشبّهة بالفعل عند الجوهري – دراسة نحوية دلالية

مفهوم حروف المعاني عند النحويين القدماء

يحظى الحرف بمكانة رفيعة في بناء الأساليب في العربية، وخصوصًا في القرآن الكريم وكلام العرب، إذ يُعد أحد الأقسام الثلاثة التي تتألف منها الكلمة في النحو: الاسم، والفعل، والحرف.

وقد نصَّ المبرد (ت 285هـ) على شمولية هذا التقسيم لجميع اللغات بقوله: ((الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى)) (المبرد ، 1994 ، 3/1) .

وقد أكد ابن السراج (ت 316هـ) أن الحرف لا يُخبر عنه ولا يُخبر به، ولا يُكوّن كلامًا مستقلًا إذا اجتمع مع غيره، فقال: ((الحرف ما لا يجوز أن يُخبر عنه ولا يكون خبرًا)) (ابن السراج ، 1996 ، 40/1) .

وبيَّن ابن جني (ت 392هـ) أن أصل لفظ الحرف يدل على الحدِّ أو الطرف، فقال: ((الحرف إنما هو حد الشيء وناحيته)) (ابن جني ، 15/1).

ـ معنى الحرف في اللغة والاصطلاح

الحرف لغةً: قال الجوهري في صحاحه: ((حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد.)) (الجوهري ، 1984 ، 1342/4) ومنه قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) (الحج : 11)

أي على طرف من الدين لا ثبات له فيه.

الحرف اصطلاحاً : أما في اصطلاح النحويين فهو: كلمة تدل على معنى في غيرها فقط. فالحرف لا يدل على معنى قائم بذاته كما هو حال الاسم والفعل، بل دلالته متوقفة علـى غيره في التركيب، كحـــــــــروف الجر التي تربط الأفعال بالأسماء (سيبويه ، 1988 ، 12/1).

وقد اعترض بعض النحويين على هذا الحد، كالفراء وأبي علي الفارسي، في مسألة الحروف الزائدة، لكنها في حقيقتها تؤكد المعنى أو تبيّنه، فتظل دلالتها مرتبطة بسياقها (المخزومي ، مهدي ، 1958 ، ص207).

ثالثًا: سبب تسميته حرفًا: ذهب النحاة إلى أن علة التسمية تعود إلى معناه الأصلي في العربية، فهو طرفٌ في الكلام؛ إذ الحرف لا يكون عمدة، بل فضلة، يُكمل المعنى ولا يستقل به (ابن القاسم ، الحسن ، ص27).

مصطلح "حروف المعاني" و"الأدوات":

اختلفت المصطلحات بين النحويين : البصريون سمّوها حروف المعاني، لأنها تدل على معانٍ متعددة كالتوكيد، والابتداء، والاستعلاء، والسببية...

أما الكوفيون فاختاروا مصطلح الأدوات، لأنها رموز لا يظهر معناها إلا بتركيبها في الكلام (سيبويه ، 1988 ، 12/1).

وقد أشار إلى هذا الخلاف المخزومي بقوله: كان البصريون يسمونها حروف المعاني... وكان الكوفيون يسمونها أدوات (المخزومي ، مهدي ، 1958 ، ص208).

أقسام الحروف :

يقسم النحاة الحروف إلى نوعين رئيسين:

1- حروف المعاني: وهي التي تربط أجزاء الكلام وتؤدي وظيفة نحوية ومعنوية، كحروف الجر (من، إلى، على)، وحروف العطف (الواو، الفاء)، وحروف الشرط (إن، إذما)، وحروف الاستفهام (هل، الهمزة).

وتُسمّى حروف المعاني لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء وتفيد معاني إضافية بأوجز عبارة (المالقي ، 1975 ، ص168) .

2 - حروف المباني : وهي حروف الهجاء التي تُكوّن الكلمات وتُستخدم في التهجّي والتصريف كالألف والتاء والياء.

عمل الحروف : يتحدد عمل الحروف بما بعدها فبعضها يُحدث أثرًا إعرابيًا (كالجر والجزم)، مثل حروف الجر وأدوات الشرط الجازمة (الحلواني ، محمد ، ص154) ..

وبعضها لا يعمل إلا دلاليًا فقط (كالواو الاستئنافية)، ويرتبط عمل الحروف بوجود معنى مخصوص يدعمه السياق، ما دعا بعض النحويين إلى القول بتشابه الحروف مع الأفعال وغيرها من العوامل اللفظية.

العلاقة بين الدلالة والحرف:

الحروف من أدوات الدلالة اللفظية، فهي من جملة الوسائل التي يهتدي بها السامع إلى المعنى المقصود. وقد لخص الجاحظ أنواع الدلالات بأنها: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال (الإبراهيمي ، نعمان عنبر ، 2021 ، ص193).

ويتبين لنا من هذا الشرح والتفصيل إن لحروف المعاني في العربية منزلةً عظمى، فهي جسور تربط الأجزاء وتُظهر العلاقات وتُضفي على الأسلوب العربي بلاغةً وإيجازًا. وإدراك معانيها ضرورة لدارس اللغة وفقهها وأصولها، لأنها مفاتيح لفهم نصوص القرآن والسنة، وقواعد الاستدلال، وأصول الفقه كلها.

الجوهري ، ومعجمه الصحاح(مكانته ومنهجه)

1- اسمه :

هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، من فرياب من بلاد الترك وابن أخت العالم اسحق بن إبراهيم الفارابي وتلميذه، وعليه بدأ تحصيله للعلم (السيوطي ، جلال الدين ، 446/2_447) ، إمام في اللغة وضرب به المثل لحسن خطه ، وكان يقول الشعر، ومن مؤلفاته: الصحاح في اللغة وعروض الورقة ، والمقدمة في النحو ، توفي في سنة ٣٩٣هـ (الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، 1973 ، 112/9) .

نشأ في بلاد الترك فنبغ في الخط حتى ضرب به المثل ، واشتهر في علم الكلام لكنه كان محباً للأسفار، ويؤثر السفر على الحضر، فسافر إلى بلاد الحجاز، واجتاز بلاد ربيعة ومضر، فأخذ عن أهلها لغتهم بالمشافهة، واقتبس من علماء الشام والعراق، حتى أتقن لغة العرب ونبغ في ذلك، ولما قضى وطره من قطع الآفاق عاد إلى بلاد فارس فاستقر في دامغان بلد بين الري ونيسابور - حيث أكرمه أبو الحسن بن علي وكان من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء، وأنزله عنده، ثم سيره بإحسان إلى نيسابور بعد أن أخذ من آدابه وخطه وحظه، فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف، وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصحف والدفاتر اللطائف إلى أن قضى نحبه رحمه الله(الحموي ، ياقوت ، 1979 ، 400/1) .

2 - **وفاته**

تعددت الروايات في شأن وفاة الجوهري رحمه الله، فقيل إنه في أواخر عمره اعترته وسوسة حملته على محاولة الطيران، فصعد إلى سطح الجامع القديم في نيسابور، وشدّ إلى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل، ثم قال للناس: ((إني عملت في الدنيا شيئًا لم أُسبق إليه، فسأعمل للآخرة أمرًا لم أُسبق إليه)).

ثم ألقى بنفسه من أعلى سطح الجامع فوقع ومات (السيوطي ، جلال الدين ، 1991 ، ص195) .

وقد اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته، فقيل: توفي سنة 393 هـ، وقيل حدود سنة 400 هـ، بينما ذكر بعضهم أنه توفي سنة 398 هـ، وورد في بعض المصادر أنه وُلد سنة 332 هـ وتوفي سنة 393 هـ، وهو قولٌ آخر يُؤخذ به في بعض كتب التراجم (الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، 1987 ، ص165) .

3- مكانة الجوهري العلمية وسعة اطلاعه وثقافته:

أ - المؤهلات العلمية والشخصية

امتلك الجوهري مقومات عقلية وعلمية جعلته من أبرز أعلام عصره، إذ امتاز بذكاء حادّ وفطنة نادرة، حتى عدَّه بعض معاصريه من أعاجيب الزمان في دقة إتقانه وسعة ابتكاره. وقد جمع بين إمامة اللغة والأدب ، وتفوّق في علوم الأصول والمنطق ، حتى وصفه العلماء بأنه من فرسان هذا الميدان (النيسابوري ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، 1983 ، 206/4) .

ب- مصادر تكوينه العلمي :

كان لاتصاله المباشر بالقبائل العربية ومشافهته لأهل الفصاحة أثرٌ عظيمٌ في رسوخ ملكته اللغوية، فضلًا عن تلقيه علوم اللغة على يد كبار أئمة عصره، كأبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، وخاله إسحق الفارابي الذي كان له أثر ظاهر في تحصيله العلمي (الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، 1987 ، ص 66) .

ج - حبُّه للترحال واتساع خبرته :

كان حب الجوهري للترحال في بلاد العرب عاملًا مهمًا في اتساع أفقه العلمي، وخاصة في صناعة المعجم التي تقوم في جوهرها على المشافهة والسماع. وقد انعكس ذلك في ابتكاره نظام ترتيب القافية في معجمه الصحاح، وهو ابتكار غير مسبوق في زمنه (النيسابوري ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، 1983 ، 206/4) .

د - تبحّره في علوم متنوّعة :

لم يقتصر عطاء الجوهري على التأليف المعجمي، بل امتد إلى علـــــوم أخرى كالعروض ، إذ ألّف كتابًا مستقلًا فيه بعنوان عروض الورقة ، وهو ما يدل علـــى امتلاكه ملكةً رياضيةً ذهنية ضرورية للإبداع في هذا الفن الدقيق . كما تجلّت ثقافته في تنوع مجـــــالات بحثه التي شملت اللغة والنحو والصـــــــرف والبلاغة وعلم الأصوات (الحموي ، ياقوت ، 1979 ، 400/1) .

6 - مكانته في النحو العربي :

نال الجوهري مكانةً مرموقةً بين علماء اللغة والنحو على حدٍّ سواء، فقال فيه الثعالبي: ((من أعاجيب الدنيا... وهو إمام في لغة العرب)) (السيوطي ، جلال الدين ، 98/1) .

ووصفه ابن بري بأنه ((أنحى اللغويين)) (الحموي ، ياقوت ، 206/2_207) .

وعلى الرغم من هذا التقدير، فإني أرى أن شهرة الجوهري في ميدان الصناعة المعجمية طغت على شهرته النحوية، إضافةً إلى أن آراؤه النحوية وردت متفرقةً في معجمه دون أن يصلنا منها مؤلَّفٌ مستقل..

7 - دور الجوهري في توجيه القضايا النحوية

اضطلع الجوهري في معالجاته النحوية بثلاثة أدوار رئيسة (عساف ، محمد طراد ، 2007 ، ص16):

1- دور التحليل: إذ كان يحلّل الآراء النحوية الواردة ويُحسن عرضها وتفسيرها لتكون مقنعةً للقارئ، ولم يقتصر على النقل المجرد.

2- دوره في النقد اللغوي : ففي بعض المسائل أصدر أحكامه الخاصة بجرأة ، مستندًا إلى معرفته الدقيقة بجوانب القضايا المطروحة.

3- دوره في الاجتهاد : فقد انفرد بآراء نحوية خاصة به، اجتهد فيها وأبدى موقفه بوضوح، وهو ما دفع بعض العلماء للرد عليه ومناقشة آرائه.

8 - مذهبه النحوي وميوله العلمية :

رغم حرصه الظاهري على الحياد في عرض المذاهب النحوية، يكشف التتبع لمحتوى الصحاح عن ميل واضح إلى المذهب الكوفي، ويتجلى ذلك في كثرة استشهاده بآراء الفراء والكسائي مقارنةً بسيبويه وأهل البصرة اعتماده في بعض المسائل على آراء الأخفش الذي وافق الكوفيين في مسائل خالف فيها البصريين, تقديمه المتكرر لرأي الكوفيين على رأي البصريين عند عرض المسائل المختلف فيها، مع إيراد الشواهد والأمثلة الداعمة، وأسلوبه في إظهار الرأي الكوفي بدايةً دون الإشارة إليه صراحةً، ثم التصريح لاحقًا، وكأنه يقدّم هذا الرأي بوصفه الراجح من وجهة نظره (الحنبلي ، عبدالحي ، 143/3).

يتبين من مجمل ما تقدّم أن الجوهري لم يكن معجميًا فقط، بل كان نحويًا واعيًا محللًا وناقدًا ومجتهدًا، له موقفه الخاص وتوجيهه المستقل. ومع أن شهرته في مجال الصناعة المعجمية قد غطّت على جهوده النحوية، فإن آراؤه المبثوثة في معجمه تبقى شاهدةً على عقله الناقد ونزعته الاجتهادية وميوله الكوفية المميزة.

9_ مصنفاته

ترك الإمام الجوهري آثارًا علمية قيمة تدل على سعة علمه ودقة نظره، من أبرزها:

أ- تاج اللغة وصحاح العربية : وهو معجمه الشهير الذي خطه بيده، وأهداه إلى الأستاذ أبي منظور عبد الرحيم بن محمد البيشكي (ت 453هـ) , وقد بقي أكثره على حاله دون تنقيح أو تهذيب ، مما سبب بعض الخلل فيه.

ب- عروض الورقة : كتاب في علم العروض وصفه ياقوت الحموي بأنه كتاب جيد بالغ في بابه(الحموي ، ياقوت ، 151/6) .

ج - المقدمة في النحو: ذكر ياقوت أنها مقدمة نافعة في النحو، بل عدّها أفضل من "الجمهرة " لابن دريد، غير أنها لم تُطبع حتى اليوم(الحموي ، ياقوت ، 151/6).

10- وصف معجم الصحاح ومنهج الجوهري فيه

يُعدُّ "تاج اللغة وصحاح العربية "، المعروف اختصارًا بـ " الصحاح "، من أقدم المعاجم العربية وأكثرها أثرًا وأهمية في مسيرة التأليف المعجمي.

صنَّفه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ) بعد رحلة طويلة في طلب اللغة، حيث استقى مادته من شيوخه، ومن قبائل العرب التي رحل إليها ولاقاها مشافهةً وسماعًا. وقد جعله للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وقرأه عليه إلى حرف الضاد، ثم توفي الجوهري وبقي الكتاب مسودةً فاستكمله تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق، فبيَّضه بعده مع وقوع بعض الأغلاط فيه (عطار ، أحمد عبدالغفار ، 1956 ، ص10) .

أحدث ظهور "الصحاح" ثورةً حقيقيةً في منهج ترتيب المعاجم العربية؛ إذ خالف الجوهري ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" الذي بُني على ترتيب الحروف من الحلق إلى الشفتين، واتخذ بدلاً من ذلك نظام القافية، فرتب الكلمات بحسب أواخر أصولها، ثم بحسب أوائلها، فاعتمد الباب والفصل منهجًا ثابتًا، تأثر فيه بكتاب خاله الفارابي "ديوان الأدب" وطوَّره بتبسيط خطوات البحث وتقليل تعقيد الأبنية(السيوطي ، جلال الدين ، 97/1) .

وكان هدف الجوهري من هذا الترتيب أن يسهل على الباحثين والشعراء إيجاد المفردة المطلوبة، مواكبًا بذلك الذائقة الأدبية في عصره، حيث غلب تيار اللفظية وكثر الاهتمام بالسجع والفواصل، فوفَّر للكتّاب مادة لغوية مرتبة بحسب مخارجها النهائية(عطار ، أحمد عبدالغفار ، 1956 ، ص 16).

وقد التزم الجوهري في معجمه اقتصارًا على الصحيح من الألفاظ ، كما قرره السيوطي بقوله :أول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الإمام الجوهري . وكذلك أكد ابن منظور أن الجوهري أحسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه فخف على الناس أمره فتناولوه وتداولوه(السيوطي ، جلال الدين ، 97/1)

نال "الصحاح" شهرةً واسعةً بين العلماء والأدباء، فاعتمدوه أساسًا ومثالًا يُحتذى، حتى كوَّن مدرسةً معجميةً مستقلةً أُقيمت عليها أغلب المعاجم التي تلته، كـ(القاموس المحيط) للفيروز آبادي، و"لسان العرب " لابن منظور.

ووصفه الثعالبي بأنه أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولًا من مجمل اللغة، مع الإقرار بوجود بعض التصحيفات والأخطاء التي نسبها المحققون إلى مسودات الجوهري غير المنقحة أو إلى تصرّف الوراق عند التبييض ((النيسابوري ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، 1983 ،4 / 373) .

وهكذا مثَّل "الصحاح" نقلةً نوعيةً في صناعة المعجم العربي من حيث منهج الترتيب، ودقة الاختيار، وسهولة التناول، وظلّ مرجعًا موثوقًا حظي عبر العصور بشروح وتكملات وحواشٍ عديدة، مؤكِّدًا المكانة العلمية البارزة لصاحبه وعمق نظره في بنية اللغة العربية وصرفها.

المبحث الثالث

الأحرف المشبهة بالفعل دراسة نحوية دلالية

اتفق النحاة على أنّ الحروف المشبّهة بالفعل هي جميعها حروف، وقد نصّ القفطي على أنّ أوّل من جمعها هو أبو الأسود الدؤلي، إذ ذكر أنّه عرضها على الإمام عليّ عليه السلام، فذكر منها " إن ، وأن ، وليت ، ولعل ، وكأن غير أنّه لم يذكر "لكن" لعدم احتسابه إيّاها منها، فطلب منه الإمام أن يضيفها (القفطي ، جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف ، 1986 ، 39/1).

ويُرجَّح أنّ أبا الأسود جمع هذه الحروف لاشتراكها في العمل على الرغم من اختلاف معانيها . وقد عدّها المتقدّمون خمسة أحرف، لاعتبارهم "إن" و" أن" حرفًا واحدًا ،

ومن النحاة الذين عدّوها خمسة: سيبويه (سيبويه ، 1988 ، 131/2) والمبرّد (المبرد ، 1994 ، 107/4) وابن السراج (ابن السراج ، 1996 ، 244/1) وابن مالك(ابن مالك ، 1319هـ ، ص21) وغيرهم. سنتناولها بالدراسة ،والتحليل كما وردت في الصحاح .

" إنَّ ، و أَنَّ "

صرح الجوهري بانَّ " إنَّ " و " أنَّ " حرفان ناسخان، وظيفتهما نصب المبتدأ (الاسم) ورفع الخبر، فإذا كانت الهمزة مكسورة في إنّ فهي أداة توكيد الخبر، وأما المفتوحة فالجملة بعده تُؤول بمصدر، وقد تأتيان مخففتين من التشديد، فإذا خففتا جاز أن يُعمل بهما، وجاز إهمالهما فلا تعملان(الجوهري ، 1984 ، 2073/5).

ذكر إسماعيل بن حمّاد الجوهري في الصحاح أنَّ (إنَّ) و(أنَّ) حرفان ناسخان، يُؤدّيان وظيفةً نحويةً تتجلّى في نصب الاسم ورفع الخبر، شأنهما شأن الحروف المشبّهة بالفعل التي اكتسبت خصائص الفعل في العمل دون أن تتجرّد من أصلها الحرفي. فهما من أدوات التوكيد أو التعليل بحسب السياق الذي تَرِدان فيه.

وقد ميّز الجوهري بين الحرفين من حيث حركة الهمزة، فبيّن أنَّ (إنَّ) –بكسر الهمزة– أداةٌ تُفيد توكيد الخبر، تدخل على الجملة الاسمية لتقوّي مضمونها وتشدّ من دلالتها، نحو قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، فهي تُبرز المعنى وتزيده رسوخًا في ذهن السامع.

أما (أنَّ) –بفتح الهمزة– فهي تدخل على الجمل لتؤول بعدها بمصدرٍ، أي إنّ الجملة التي تليها تُعدّ في حكم الاسم المفرد من حيث الإعراب، نحو: علمتُ أنَّ الحقَّ واضحٌ، أي علمتُ وضوحَ الحقّ. فهي بهذا تتحوّل من أداة توكيد إلى أداة مصدريّة، تربط بين جملتين إحداهما سببٌ أو نتيجة للأخرى.

ويضيف الجوهري أنَّ كلًّا من (إنَّ) و(أنَّ) قد تأتيان مخفّفتين من التشديد، أي تُحذف منهما نون التوكيد المشدّدة، فتصيران (إنْ) و(أنْ). وعند تخفيفهما تتغيّر وظيفتهما الإعرابية:

فقد يُعمل بهما فينصبان الاسم ويرفعان الخبر كما في حالتهما المشدّدة، إذا دلّ السياق على التوكيد.

وقد يُهمَلان فلا يعملان شيئًا، فيبقيان حرفين لا محلّ لهما من الإعراب، وتُقدَّر الجملة بعدهما بحسب موقعها في التركيب.

ومن هذا التفصيل يتّضح أنَّ الجوهري لم يقتصر في معالجته لهذين الحرفين على بيان معناهما العام، بل قدّم تمييزًا دقيقًا بين البنية الصوتية والدلالة النحوية، رابطًا بين حركة الهمزة وبين وظيفة الحرف في الجملة. وهذه النظرة تدلّ على وعي نحويّ راسخ في منهجه المعجمي، إذ يربط الجوهري بين الشكل الصرفي للحرف وبين أثره في المعنى والعمل.

ويُلاحظ أنَّ الجوهري قد اقترب في رأيه من منهج النحويين، إذ وافقهم على أن (إنَّ) و(أنَّ) من الحروف المشبّهة بالفعل العاملة عمله في نصب الاسم ورفع الخبر، وأشار كذلك إلى جواز تخفيفهما وإهمالهما، وهو ما قرّره النحويون من أنَّ العمل والإهمال في المخفّفتين مرهونٌ بدلالة السياق.

ويُستفاد من قوله أنَّ الجوهري كان يرى في هذين الحرفين بنيةً نحوية متحوّلة بين التوكيد والمصدرية، وأنّ عملهما ليس ثابتًا دائمًا، بل تحكمه علاقة التركيب والمعنى. وهذا الإدراك الدقيق يُبرز البعد الوظيفي للحرف في العربية كما تصوّره الجوهري، ويُظهر كيف جمع بين الدرس المعجمي والدرس النحوي في تناول الحروف المشبّهة بالفعل

أما النحاة فقد تشعبت واختلفت أقوالهم في هذين الحرفين حول عددها ،وقد غنينا عن إعادة ذلك حيث تم الحديث عنه ، وقيل إن " أنَّ" المفتوحة تكون في الموضع الذي يكون فيه الاسم نحو قوله تعالى: (وأنَّ هذه أمتُكم أمةً واحدةً){المؤمنون:52}

والمعنى " لأنّ هذه ... " وهنا " إنَّ" بمعنى مصدر والمصدر اسم ، والمفتوحة فرع من " إنَّ " المكسورة والأخيرة هي الأصل وهذا رأي سيبويه ومن تبعه من النحاة كالمبرد وابن السراج.

نحو قولك : إنَّ زيداً منطلق، في هذا الموضع لا يمكن إلا الكسر (سيبويه ، 1988 ، 144/2) وقيل: " أنَّ" المفتوحة أصل للمكسورة أو هما أصلان فـ "إنَّ" المكسورة تفيد معنى واحداً وهو التوكيد، أما "أنَّ" المفتوحة فتفيد التوكيد وتعلق ما بعدها بما قبلها، فكانت فرعاً، بينما المكسورة عاملة غير معمولة، وهي كلمة مستقلة ، وإننا نرجح ما ذهب إليه سيبويه والمبرد وابن السراج والفراء بأن تكون "إن" أصلاً، و" أن" فرعاً للمكسورة، لكنها تظل حرفاً لا اسماً، وإن قدرت مع صلتها بالمصدر(ابن القاسم ، الحسن ، ص 403) .

فالمصدر إنما هو الاسم المتكون منها ومن صلتها، لهذا لا تعتبر "أنَّ" وحدها مصدراً (ابن السراج ، 1996 ، 237/1).

ودليل حرفيتها عملها كالمكسورة، كما في قوله تعالى: (ذلك بأن اللهَ هُوَ الْحَقّ){لقمان:30}

و(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ... وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).{لقمان:31}

أما من جانب اعمالهما

الحروف المشبهة بالفعل ومنها " إنَّ" المكسورة ، و" أنَّ" المفتوحة اتفق النحاة على أنهما يدخلان على الجملة الأسمية فينصبان المبتدأ، ويرفعان الخبر وهذا مذهب سيبويه ونحاة البصرة خلافاً للكوفيين ومن ذهب مذهبهم على أنهما لا يرفعان الخبر بل أنه باق على رفعه قبل دخولهما على الجملة الأسمية .

وحجة الكوفيين أن هذه الحروف عملت لأنها تشبه الأفعال وهي فرع عليها ،والفروع ليست كالأصل لأنها اضعف منه فوجب فيه أن لا يعمل ، ولو عملت لتساوى الأصل مع الفرع وذلك غير جائز لذا فهي غير عاملة في الخبر. وحجة البصريين، فقد علّلوا قولهم بعمل هذه الأحرف في الخبر بأنّ شبهها بالفعل قوي، إذ شاركته في اللفظ والمعنى معًا، فاستحقت لذلك أن تجري مجراه في العمل (ابن الأنباري ، أبو البركات ، 176/1).

أما اهمالهما

تباينت آراء النحويين في عمل "إن" المخففة من الثقيلة وإهمالها. فقد ذهب سيبويه والفراء إلى إهمالها عند دخولها على الجملة الأسمية ، مؤكدين أنّ خبرها يلزم أن يسبق بلام الابتداء دفعًا للالتباس بـ"إن" النافية، مستشهدين بقول الله تعالى: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ){الطارق: 4} إنما هي لعليها حافظٌ .

وقوله سبحانه: (وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ){يـس: 32} .

وقوله تعالى: (وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ){ الأعراف: 102}

أما من يوثق بهم سيبويه، فقد ذهبوا إلى إثبات عملها، مستدلين بسماعهم من العرب قولهم: "إنَّ عمراً لمنطلق"، وبقراءة أهل المدينة: (وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ){هود:111}

حيث خففوها مع نصب الاسم، تشبيهًا لها بـ" كأنَّ". وقد ورد استعمالها عاملةً في الشعر، كما قالوا (البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، 2000 ، 394/10) :

وصدرٍ مشرق اللـــــون كأنْ ثدَيْيــه حُقـــــانِ

وشاهده تخفيف " كأنْ "

وحجة القائلين بعملها أنّ الحرف بمنزلة الفعل، فإذا حذف منه بعضه لم يتغيّر عمله. في المقابل، أدخلها أكثر النحاة في حروف الابتداء إذا جاءت مخففة، أو إذا اتصلت بها "ما" الكافّة (سيبويه ، 1988 ، 139/2).

وخلاصة القول، فإنّ ما أورده الجوهري في الصحاح بشأن "إنَّ" المكسورة و" أنَّ" المفتوحة يتوافق في جوهره مع ما قرره النحاة من حيث العمل والدلالة؛ فكلتاهما من الحروف المشبهة بالفعل، تنصبان المبتدأ وترفعان الخبر، مع اختصاص المكسورة بالتوكيد، وكون المفتوحة – مع ما بعدها – في تأويل مصدر. وقد أشار النحاة إلى اختلاف الاستعمال بينهما، وإلى صور التخفيف والإهمال والعمل، مما يعكس وحدة الأصل وتنوع الأساليب.

" لَـــيْتَ"

أداة تفيد التمنّي، وهي من الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر، على غرار كان وأخواتها، وذلك لما بينها وبين الأفعال من شبه في قوة اللفظ واتصال أغلب الضمائر بها، فضلًا عن معانيها. يقال: ليت زيدًا ذاهب. وقد ورد في الشعر قولهم (البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، 2000 ، 234/10) :

يا ليت أيامَ الصبا رواجعا

والمقصود: يا ليت أيام الصبا لنا رواجع، حيث جاء النصب على الحال(الجوهري ، 1984 ، 264/1).

برز الجوهري في تعريفه لـ"ليت" بعدها الدلالي باعتبارها أداة تمنٍّ، وهو معنى قائم على استحضار ما يُستبعد حصوله ومستحيل وقوعه ،هذا المعنى يجعلها مرتبطة بالجانب الوجداني والانفعالي للمتكلم، فهي تحمل نزعة نحو استدعاء الماضي أو التطلع إلى واقع مغاير.

ومن جانب آخر يربط الجوهري "ليت" بالحروف المشبهة بالفعل من حيث عملها، إذ تنصب المبتدأ (الاسم) وترفع الخبر، مما يعكس تداخل المستوى التركيبي بالمستوى الدلالي. كما تنبه الجوهري إلى نصب "رواجع" على الحال في الشاهد الشعري.

وبالنظر في ما أورده الجوهري في الصحاح حول الحرف " لَيْتَ " نجد أن معناه وأحكامه النحوية تتوافق في جوانب كثيرة مع ما ذهب إليه النحاة فـ" ليت" حرف يفيد التمني عند سيبويه ،والرماني ، وابن الخشاب ، وابن يعيش ، والحيدرة ، والمرادي ، وابن هشام ، والسيوطي وغيرهم (سيبويه ، 1988 ، 148/2) .

وأما عملها عندهم فيرى سيبويه والبصريون جُلهم إن " لَيْتَ" ناصبة للاسم رافعة للخبر (سيبويه ، 1988 ، 131/2) على النقيض من الكوفيين فمنهم من جعلها ناصبة للاسم فقط كما هو في عمل " إنَّ ،و أنَّ" ، ومنهم من جعلها ناصبة للاسم والخبر وإلى هذا ذهب الفراء مستشهداً بقولهم :

"يا ليت أيامَ الصبا رواجعا" على نصب الجزأين (أيام و رواجعا) (ابن مالك ، 390/1).

ومنه قول الشاعر : (الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، 377/8)

ليت الشبابَ هو الرجيعَ على الفتى والشيب كان هو البديءُ الأول

وقيل إن هذا جائز عند الكوفيين مع سائر اخوات " ليت "، ونُقل ((عن ابن السيد البطليوسي أن نصب الخبر مع هذه الأحرف لُغةٌ لبعض العرب)) (الشاطبي ، أبو أسحاق إبراهيم بن موسى ، 2007 ، 2/310_311).

وبهذا يتضح أن ما أورده الجوهري في الصحاح عن "ليت" ينسجم في مجمله مع ما قرره النحويون من كونها حرفَ تمني يعمل عمل كان وأخواتها، فينصب الاسم ويرفع الخبر، وأن شبهها بالفعل قائم من جهة اللفظ والمعنى معًا.

كما أن شواهده اللغوية جاءت مؤيدة لما ذهبوا إليه، مما يجعل نصه امتدادًا للاتجاه النحوي العام في تفسير هذا الحرف ووظيفته الدلالية والإعرابية.

"لَـــعَــلَّ "

قال الجوهري : ((ومعناه التوقع لَمرْجوٍّ أو مخوفٍ، وفيه طمعٌ وإشفاقٌ. وهو حرف مثل إنّ وليت وكأن ولكنّ ، إلا أنها تعمل عمل الفعل لشبههن به فتنصب الاسم وترفع الخبر)) (الجوهري ، 1984 ، 5/1774) .

يُحدِّد الجوهري معنى "لعل" بالتوقع لما هو مرجو، أي ما يرجو المتكلم حصوله. كما قد تدل على التوقع لما هو مخوف ،أي ما يخشاه المتكلم ويتوجس وقوعه. حاملةً في ذلك طمعًا عند الرجاء وإشفاقًا عند الخوف، مما يمنحها بعدًا وجدانيًا مزدوجًا يتأرجح بين الأمل والحذر.

وعدَّ "لعل" من الحروف المشبهة بالفعل كـ: إنّ، وليت، وكأنّ، ولكنّ، مبيّنًا أنّها تشترك معها في الوظيفة النحوية المتمثلة في نصب الاسم ورفع الخبر، وهو عمل مأخوذ من الأفعال الناسخة، لوجود شبه بينها وبين الفعل من حيث الصيغة والتركيب والمعنى.

ويتضح هذا الشبه من قدرتها على الدخول على المبتدأ والخبر وتغيير إعرابهما على نحو ما تفعله الأفعال .

وفي موضع آخر قال: ((هي كلمة شك ، وأصلها عَلَّ ، واللام في أولها زائدة . قال الشاعر: (الأصبهاني ، أبو الفرج ، 2/35)

يقولُ أُناسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ يرومُ سُلُوًّا قلتُ إني لَمِا بِيا)) (الأصبهاني ، أبو الفرج ، 5/1815) .

حيث أفاد الجوهري أنّ "لعل" كلمة شك، أي تدل على التردد وعدم الجزم بالحكم، مع إمكان حملها على الترجي أو الإشفاق وفق مقتضى السياق، وأشار إلى أنّ أصلها "عَلَّ" وأنّ اللام في أولها زائدة، وهو ما يكشف عن مسار تطوري في بنيتها حتى استقرّت على صورتها المعروفة في الاستعمال العربي.

وقد دعم الجوهري هذا الرأي بالشاهد الشعري الذي أورد فيه اللفظة بمعناها الأصلي، مما يبرز تدرجها من الاستعمال الدلالي الحر إلى الوظيفة النحوية المعيارية التي رسختها قواعد الحروف المشبهة بالفعل.

وبعد أن بَيّن لنا الجوهري مفهومه للحرف " لَعَـلَّ " يحسن أن ننتقل إلى ما يراه النحويون في هذا الحرف من حيث تحديد معناه ، وعمله ، واللغات التي قيلت فيه

له معانٍ كثيرة صرح بها النحويون نوردها وفقاً لما ورد في الصحاح ومنها :

1ـ الترجي والاشفاق

ذهب سيبويه وتبعه نحاة البصرة إلى أن " لَعَلَّ" تدل على الترجي في الأمر المحبوب ، والإشفاق في الأمر المحذور ، وذكر المرادي أنها للترجي وهو الأعم والغالب وأن الترجي يكون في المرجوّ، والإشفاق في المخوف(سيبويه ، 1988 ، 2/148) بينما عبر بعضهم عن "الإشفاق" بلفظ " التوقع" سواء كان المرجو أو المخوف قد وقع أو لم يقع ، ولا تدخل " لَعَلَّ" إلا على الممكن ، كقوله تعالى: (لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات) (غافر : 36) .

وقول فرعون هذا جهلاً منه ،وتستعمل للخوف، ففي قوله تعالى :(لَعَلَّ الساعةَ قريبٌ) (الشورى : 42) .

إذ الساعة مخوفة للمؤمنين بدليل قوله تعالى:(والذين آمنوا مُشفقونَ منها) (الشورى : 42)

فـ" لَعَلَّ" للإشفاق ، والذي أكد دلالتها لهذا المعنى هو لفظة " مشفقون" في الآية التي تلتها(الهروي ، علي بن محمد النحوي ، 1993 ، ص217).

2ـ الشك

ذكر الهروي هذا المعنى قال: ((وتكون "شَكّاً "بمنزلة " عسى " كقولك : لَعَلَّ زيداً في الدار ، ولَعَلَّ زيداً يقوم)) (الهروي ، علي بن محمد النحوي ، 1993 ، ص217) .

أي بمعنى "عسى زيد" للدلالة على توقع أمر محتمل الحدوث ، ونص المرادي نقلاً عن النحاس عن الفراء على أن " لَعَلَّ " تفيد معنى الشك ((وهذا عند البصريين خطأ)) (ابن القاسم ، الحسن ، ص581).

عمل " لَعَلَّ"

عند كثير من النحويين ، وشيخهم يعمل هذا الحرف عمل " إنَّ " واخواتها؛ حرف ينصب الاسم ، ويرفع الخبر ، أي يعمل عملين "النصب ، والرفع " خلافاً للكوفيين ، والفراء(سيبويه ، 1988 ، 149/2).

وقد جرى الحديث بشأن خلافهم حول عمل " إنَّ" واخواتها في صفحات مضت.

اللُّغات في " لَعَلَّ"

هل هي " لَعَلَّ ، أم علَّى ، أم لَعَـنَّ ، أم عَـنَ ، أم أنَّ ، أم عـلّ ، أم لأن ، أم رَعَـلَّ ، أم رَعَـنَّ ، أم لَغَـنَّ ، أم رَغَـنَّ ، أم غَـنَّ ؟ (الأربلي ، علاء الدين بن علي بن بدر الدين بن محمد ، 1991 ، 402_403) .

اثنتا عشرة لُغة قيلت فيها ، وأختلف في "اصل اللام الأولى "

فمذهب الكوفيين أن " اللام الأولى " في " لَعَلَّ" أصلية ، ومذهب البصريين " اللام " زائدة . حجة الكوفيين بأن "لعل" أصلية، مستندين إلى أن الحروف بجميعها أصلية ، ولا يلحقها شيء من حروف الزيادة التي تختص بالأسماء والأفعال، كما أن اللام نفسها نادرًا ما تزاد في الأسماء أو الأفعال، فكيف تزاد في الحروف وهي أبعد عن الزيادة ؟ .

أما البصريون فرأوا أن اللام زائدة، لورود استعمال العرب "علَّ" مجردة من اللام في مواضع كثيرة منها ما قاله نافع الطائي(المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، 1991 ، 1162/2) :

ولستُ بلوامٍ على الأمر بعد ما يفوتُ ، ولكن عَلَّ على إنْ أتقدما

مما يدل على أن الأصل "علَّ" وأن اللام أُدخلت عليها لاحقًا ،وإلى هذا القول ذهب الجوهري ، وابن منظور (ابن الأنباري ، أبو البركات ، 219/1) .

نقول كلا الرأيين وجيه ؛ فالكوفيون رجّحوا أصالة اللام اعتمادًا على القياس وندرة زيادتها، والبصريون رجّحوا زيادتها استنادًا إلى السماع بورود "علَّ" مجردة، وبذلك يُستفاد من الرأيين معًا في بيان أصل "لعل" .

" لـكنَّ "

ذكر إسماعيل بن حماد في صحاحه: إنَّ (لكن) حرف عطف تأتي على وجهين: خفيفة وثقيلة. فالخفيفة منها تؤدي معنى الاستدراك من غير أن تعمل في الاسم أو الخبر، وأما الثقيلة فهي حرف مشبَّه بالفعل، تعمل عمل إنّ فتنصب الاسم وترفع الخبر، ويُستدرك بها بعد النفي كما يُستدرك بها بعد الإيجاب. ومثال ذلك قولهم: ما جاء زيدٌ لكن عمرًا قد جاء (الجوهري ، 1984 ، 2196/6).

ويتّضح من هذا القول أنَّ الجوهري قد أدرك ازدواج الوظيفة في هذا الحرف بين العطف والعَمل النحوي، وهو تمييزٌ دقيق يدلّ على وعيه بطبيعة التدرّج في بنية الحروف بين ما هو دلاليٌّ صرف وما هو عاملٌ نحويّ. فـ"لكن" الخفيفة بقيت عنده في حدود الدلالة والربط، بينما تطوّرت الثقيلة إلى منزلةٍ أعلى من جهة التركيب والعمل، إذ استحقت أن تُشبَّه بالفعل لما تؤدّيه من معنى التوكيد والاستدراك، ولما لها من أثرٍ في الإسناد من حيث رفع الخبر ونصب الاسم.

ويكشف هذا التفريق عن نظرة الجوهري التحليلية إلى الحرف في ضوء موقعه من الجملة ووظيفته في بناء المعنى. فهو لا يكتفي ببيان المعنى العام للحرف، بل يربط بين دلالته وموقعه النحويّ، فيجمع بين المقاربة المعجمية والنحوية في آنٍ واحد.

كما يُظهر منهجه أن الجوهري كان يعي تمامًا التحوّل الوظيفي للحروف حين تنتقل من حروف ربط إلى حروف عاملة، وهو وعيٌ يتّسق مع تصوّر النحويين للحروف المشبّهة بالفعل من حيث عملها وأثرها في الجملة الاسمية

حيث يؤكد بعض النحويين هذا الرأي ومنهم الزمخشري الذي صرح بأن " لكن " حرف للاستدراك(الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، ص36) .

وتابعه على ذلك بعض النحاة كـ " ابن الخشاب" ، و"المرادي" الذي أكد على أنه حرف يُستعمل للاستدراك، ويُقصد بالاستدراك نسب حكمٍ إلى الاسم بعد مخالفة ما سبق في الكلام، أي أن المتحدث إذا أخبر عن أمرٍ ما، ويخشى أن يُفهم من أمرٍ آخر عكسه، يأتي بـ "لكنّ" لتدارك المعنى، سواء كان التدارك بالنفي أو بالإيجاب ، وبذلك، لا يُستعمل هذا الحرف إلا بعد ذكر كلامٍ مُلفوظ أو خِيرٌ محتمل، يحتاج إلى توضيحٍ أو تصحيح. وقد ذهب بعض النحويين إلى أن "لكنّ" تعمل للاستدراك والتوكيد معاً (ابن الخشاب ، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ، 1972 ، ص169) .

وتعمل " لكنَّ " الثقيلة عمل إن واخواتها فتنصب الاسم وترفع الخبر وهذا ما ذهب إليه نحاة البصرة (سيبويه ، 1988 ، 150/2) على النقيض من نحاة الكوفة الذين يرونها أنها ناصبة للاسم فقط وقد مر ذكر الخلاف هذا.

وقيل إن " لكن " حرف عامِل ، يربط بين جملتين بحيث يكون ما قبلها منفيًا وما بعدها مثبتًا، أو العكس، لتحقيق المخالفة بين المعنيين ، نحو قولك : سافر زيد لكن عمراً أقام أي لم يسافر، ويتطابق هذا مع قول الجوهري الذي يرى أن "لكنّ" تستعمل لتدارك المعنى بالنفي أو بالإيجاب ، ومن الشاذ إنهم ادخلوا "اللام " على خبرها .

واستشهدوا ببيت من الشعر:(ولكني من حبها لعميد) أما الخفيفة فيستدرك بها لكنها لا تعمل (الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، 2008 ، ص149). .

وبذلك يتضح أن حرف "لكنّ" يقوم بدور الاستدراك والتوكيد، رابطًا بين جملتين متعارضتين في المعنى، بما يحقق التدارك بالنفي أو بالإيجاب، ويجسد توافقًا بين أقوال الجوهري والنحويين في فهم وظيفة هذا الحرف في التركيب اللغوي.

الخاتمة :

بعد هذا العرض لما ورد عند الجوهري من عرضٍ للحروف المشبَّهة بالفعل في الصحاح، وما تضمَّنه من إشاراتٍ نحويةٍ ودلاليةٍ دقيقة، يتبيَّن أن الجوهري لم يكن معجميًّا فحسب، بل كان ذا رؤيةٍ نحويةٍ واعيةٍ ظهرت من خلال معالجته لمعاني هذه الحروف في ضوء الاستعمال العربي، وربطها بالسياق التركيبي والدلالي الذي تَرِد فيه.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن الجوهري عالج الحروف المشبّهة بالفعل معالجةً تميل إلى التكثيف والإيجاز، مع إبراز حالتها في التركيب العربي وربطها بالمعنى والدلالة، وأوضح حدود التفسير النحوي والدلالي دون إسهابٍ يُخرج المعجم عن غايته الأساس.

إذ لم تكن معالجته لهذه الحروف معالجةً نحويةً تفصيلية كتلك التي نجدها عند النحويين، وإنما كانت معالجةً لغويةً تُبرز الصلة الوثيقة بين المعنى والاستعمال، وتُشير إلى موقع الحروف من البنية التركيبية والعَمل النحوي. وقد ظهر من خلال عرضه أن تفسيره يستند إلى فهمٍ عميقٍ لأسس العربية، مع تأكيده على الجانب الدلالي الذي يُسهم في توجيه المعنى النحوي.

ومن أهم ما انتهت إليه هذه الدراسة ما يأتي:

1- إنّ الجوهري وعى الصلة الوثيقة بين البنية المعجمية والعمل النحوي، إذ لم يكتف بذكر معاني الحروف، بل أشار إلى آثارها الإعرابية في الجملة الاسمية

2- جاءت معالجته للحروف المشبهة بالفعل متّسقة في جوهرها مع ما قرّره النحاة، من سيبويه إلى ابن هشام، مع بروز بعض الخصوصيات التي تعكس نظرته الخاصة

3- ركّز الجوهري على بيان الوظائف الدلالية لهذه الحروف (التوكيد، التشبيه، التمنّي، الترجي، الاستدراك)، وجعلها متكاملة مع عملها النحوي (نصب الاسم ورفع الخبر)، وهو ما يدل على وعيه بترابط المستويين: النحوي والدلالي.

4- يُظهر البحث أن الصحاح لا يُعدّ مصدرًا معجميًا فحسب، بل يُعَدُّ أيضًا شاهدًا مهمًّا على امتزاج المعجم بالنحو، الأمر الذي يجعله أساسًا في تتبّع تطور النظرية النحوية في سياقها المعجمي.

وبذلك تُبرز هذه الخاتمة أن الجوهري، وإن لم يُقدِّم دراسة نحوية متخصصة، فقد أودع في الصحاح إشاراتٍ دلالية ونحوية ثمينة، تُفيد في فهم تطوّر الدرس النحوي والمعجمي، وتؤكد أنّ المعجم العربي القديم لم يكن بعيدًا عن روح النحو ولا عن أصول التحليل الدلالي ..

المصادر

الإبراهيمي ، نعمان عنبر , 2021, المشابهة في النحو العربي , المكتبة الوطنية .

ابن الأنباري ، أبو البركات (ت 577هـ)، الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، القاهرة ، تحقيق ودراسة: د. جودة مبروك محمد مبروك، راجعه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1.

ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف النحوي (570هـ ـ 646هـ)، الايضاح في شرح المفصل، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الأسلامي تحقيق وتقديم: د. موسى بناي العليلي،.

ابن الخشاب ، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد (ت 492ـ 567هـ)، 1392ـ 1972م ، المرتجل ، دمشق ، تحقيق ودراسة علي حيدر ، ب، ط

ابن السرَّاج ، أبو بكر محمد بن السري (ت316هـ) ، 1417 هـ - 1996م ، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الثالثة .

ابن القاسم الحسن ، الجنى الداني في حروف المعاني، ، بيروت _ لبنان ، دار الكتب العلمية ، تحقيق . فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل.

ابن جني (ت392هـ) ، سر صناعة الإعراب, دمشق , سوريا , دار العلم ، تحقيق : د. حسن هنداوي .

ابن مالك ، جمال الدين أبي عبد الله محمد (ت 600– 672) ، 1319هـ ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، مطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية ، طبعه ومثله عبد الله بن عبد الحي الزبير، ط1 .

ابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي(ت600–672هـ)، شرح التسهيل ، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، ب،ط

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) ، 1413هـ ــ 1993م ، تهذيب لسان العرب، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، هذبه : المكتب الثقافي لتحقيق الكتب ، إشراف الأستاذ، عبد علي مهنا ، ط1 .

ابن يعيش ، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي (ت643هـ)، شرح المفصّل ، بيروت – لبنان ، ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبي، القاهرة قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى .

الأربلي ، الأمام علاء الدين بن علي بن بدر الدين بن محمد (ت741هـ) ، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، وادي النيل ، مطبعة الحروف مصر ، صححه، وهذبه، ونقحه: الشيخ علي نائل ومعه حسن بن الشيخ أبو زيد سلامه ـ.

الأصبهاني ، الأمام أبي الفرج (ت284– 356هـ)، الأغاني، مصر، ، مطبعة التقدم ــ شارع محمد علي ــ ، طبعه بحواشيه حضرة الحاج محمد أفندي سامي المغربي، تصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي.

الأندلسي ، أبو حيان (ت 745هـ)، ارتشاف الضرب ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، ب،ط

الأنصاري ، ابن هشام (ت761هـ) ، 1964 ، مغني اللبيب ، دمشق , دار الفكر ، تحقيق : د . مازن مبارك و محمد علي حمد الله و د . مازن المبارك, الطبعة / الأولى _.

البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، 1420هـ ــ 2000م ، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ، القاهرة ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط4

الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، 1404هـ ــ 1984م ، الصحاح، تاج اللغة وصِحاح العربية ، لبنان ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة .

الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، 1979 ، لسان الميزان.

الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق د. إحسان عباس.

الحنبلي ، عبدالحي, شذرات الذهب ، بيروت ، دار الآفاق الجديد.

الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ١٢٠٦هـ ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة.

الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى النحوي(296– 384هـ) ، 1429هـ ــ 2008م ، كتاب معاني الحروف، بيروت ــ لبنان ، دار الشروق ، جدة حققه وخرج شواهده، وعلق عليه، وقدم له، وترجم للرماني، وأرخ لعصره. د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار ومكتبة الهلال..

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت337هـ) ، 1979 م ، الإيضاح في علل النحو، بيروت ، دار النفائس ، تحقيق: د.مازن المبارك، الطبعة الأولى

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت 538هـ) ، كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب، ب، ت ، ب، ط

سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) , 1988، كتاب سيبويه ، القاهرة ،, مكتبة الخانجي ت : عبدالسلام محمد هارون , الطبعة الثالثة.

السيوطي ، الإمام جلال الدين (ت 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، بيروت ــ شارع سوريا، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية الكويت ، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، والأستاذ عبد السلام محمد هارون

السيوطي ، جلال الدين ، المزهر ، بيروت , دار الجيل ، د.ت ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى , وعلي محمد البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

السيوطي ، جلال الدين ، 1991 م ، بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى.

الشاطبي ، الإمام أبي أسحاق إبراهيم بن موسى (ت790هـ) ، 1428هـ ــ 2007م ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، صنعه الأستاذ الدكتور عياد بن عبد عيد الثُبيتي، مكتبة الملك فهد الوطنية، حقوق الطبع محفوظة لمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ـ جامعة ام القرى ـ مكة المكرمة، ط1.

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، الوافي بالوفيات , تحقيق : يوسف فان إس، دار النشر فرانز شتايز بفيس بادين .

الطوسي ، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (ت385ـ 460هـ)، التبيان في تفسير القرآن ، دار أحياء التراث العربي ، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي ، ب، ط

عساف ، محمد طراد ، 2007م ، القضايا النحوية في معجم الصحاح، جامعة مؤتة ، رسالة ماجستير .

عطار ، أحمد عبدالغفار ، 1956، مقدمة الصحاح ، بيروت – لبنان ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى .

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة نشر مركز المخطوطات والتراث بالكويت، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد المصري .

القفطي ، الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف المتوفى سنة ٦٢٤هـ , ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، انباه الرواة على أنباه النحاة , بيروت ، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى

المالقي ، 1975 , رصف المباني في شرح حروف المعاني , ت : أحمد محمد الخراط , دمشق , مطبوعات مجمع العربية .

المبرد ، أبو العباس (ت285هـ) , 1994، المقتضب، القاهرة ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة.

المخزومي ، مهدي , 1377هـ _ 1958 م ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ,مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .

المرزوقي ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت 421هـ)، 1411هـ ــ 1991م ، بيروت ، دار الجبل ، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين و عبد السلام هارون،ط1 .

النيسابوري ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت 429هـ) ، 1403هـ ــ 1983م ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، بيروت ــ لبنان ، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة ، ط1، دار الكتب العلمية.

الهروي ، علي بن محمد النحوي (ت415هـ) ، 1413ــ 1993هـ ، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ط2.

اليمني ، علي بن سُليمان الحيدرة (ت599هـ) ، 1423ــ2002م.، كشف المشكل في النحو، دراسة وتحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، دار عمار، ط1 .